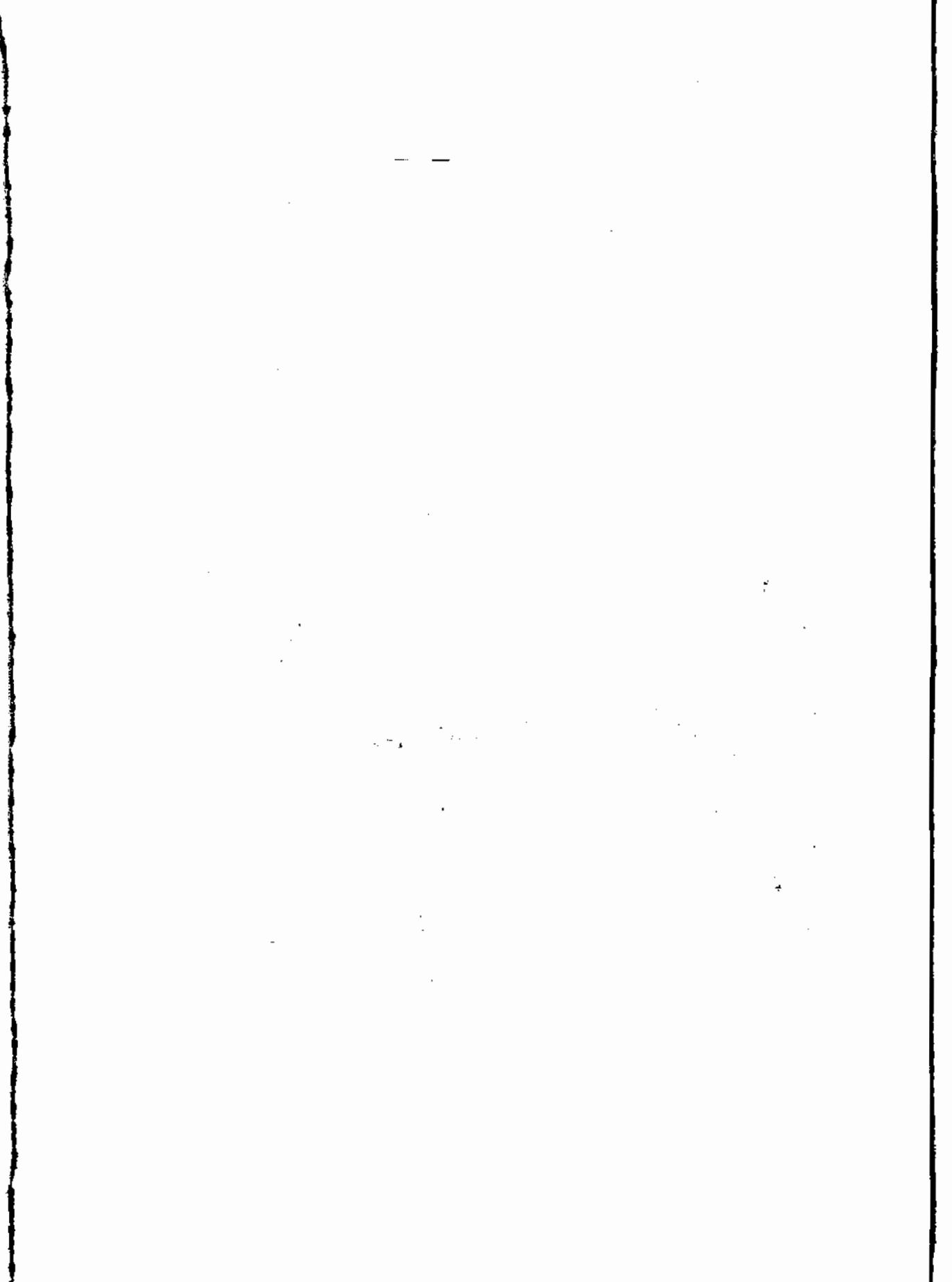


مجلس الصحابة خلال العصر العباسي الأول

الدكتور سليمان الرحيلي

أستاذ التاريخ المشارك بجامعة الامام بالرياض



مجلس الصحابة خلال العصر العباسي الأول

ملخص البحث

يعد مجلس الصحابة احدى المؤسسات السياسية المهمة خلال العصر العباسي الاول ، واحدي صور الشورى التي عرفت فيه ، واستعان بها خلفاؤه .

ويتناول هذا البحث ظهوره ، وصفات اعضائه ، وعندهم ، واوليات اجتماعه ، وادابه ، والقضايا التي تناقش فيه . وما طرأ عليه من تغيير وما ينبغي أن يكون عليه ، والدعوة الى وجود فروع له في الاقاليم وتعليل ذلك .

البحث :

تعد الشورى احدى دعائم الحكم المهمة في الاسلام ، وركيزة اساسية في صلاحه واستمرار نجاحه في الداخل والخارج في مختلف المجالات (١) وقد امر الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم بصريح النص (وشاورهم في الامر) (٢) . مع انه اكمل الخلف فيكون غيره بها الزم والتكليف لوجب ، لتحري فعل الصواب والبحث عن مظانه . ومن ثم امتدح رأى الجماعة واثني عليهم باتباع الشورى (٣) (وامرهم شورى) (٤) . ودم الاستبداد بالرأى واتباع الهوى (افرايت من اتخذ الهه هواه وأضله الله) (٥) .

وقد شاور عليه السلام اصحابه فرادى ومجتمعين في امور عدة قبل اتخاذ القرار ، وبعاهم للاجتماع للتشاور اذا ما حزبه امر واناهاهم لذلك بما يشبه نداء الصلاة ، لتأكيد الأهمية ، وخاطبهم بقوله : « اشيروا على » (٦) .

ولما كان هذا مبدأ في الحكم وعظيم الأمور فقد سار عايه خلفاؤه من بعده فهذا أبو بكر رضى الله عنه يستشير الصحابة في الموقف من الردة، وكان مجلس عمر بن الخطاب يغص بالعلماء والقراء من الكهول والشباب وربما استشارهم كلهم ويذكرهم بأن يبدى كل واحد منهم رأيه أنى كانت حدائته سنة (٧). وكان يوجد في عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان مجلس الأشراف وقد خاطبهم عند دخولهم عليه بقوله: يا هؤلاء إنما سميتم أشرافا لأنكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس^(٨). وكتب عمر بن عبد العزيز حين ولى الخلافة الى الحسن البصرى أن اعنى بأصحابك^(٩). وكان لبعض الولاة في العصر الأموى رجال يحضرون مجالسهم ويشيرون عليهم بالرأى وكان عمر بن هبيرة يتعمد ممن كانت صحبته من أجل نفسه وتحقيق مآربه الخاصة، ونسيان المصالح العامة للناس وتذكير الحكام بها وحثهم على فعلها^(١٠). وهى اشارة الى ما اعتري مجالس بعض الخلفاء والولاة من خلل وغشيانها من قبل أصحاب الأطماع والحاجات الفردية.

وفي العصر العباسى الأول يعد مجلس الصحابة أحد المؤسسات السياسية المهمة فهو بمثابة مجلس للخليفة يتألف من مشاهير الناس وأعلام الأقاليم . يحضرون مجلسه ويشركهم في أمر البلاد والعباد ويحفون به فى مناسبات الدولة المختلفة مثل استقبال الناس والسفراء وتقليد ولاية العهد والأعياد وكانوا يختارون بعناية لأهمية الدور الذى يقومون به ونيل الهدف الذى يستصحبهم الخلفاء من أجله، وهو إبداء الرأى للخليفة فى أمور الدولة ومعاش الناس وتصريف شئون أقاليم بلدانهم وذلك لسببين مهمين أولهما : تأسيسا بالرسول عليه السلام واقتداء بسنته فى الحكم ، فقد أمره الله

بالشورى فيه وأثنى على من يقومون بذلك وحسن عملهم على نحو ما مر وقد جاء هذا بحقه والوحى يتنزل عليه وهو خير الناس وأبر وأعلم بأمرور الحكم ممن سواه (١١).

ثانيهما : كثرة انشغال الخليفة لعظم وظيفته واتساع الدولة وتعدد أقاليمها وكثرة أمورها وقضاياها مما قد يفوت عليه بعضها أو يشغله عنها أو لا يعطيها الاهتمام المناسب أو لا تصله بما فيه الكفاية (١٢).

كما يظهر أن الدولة العباسية أسست هذا المجلس منذ قيامها لظهور الاختلاف بين عهدها والعهد الأموى السابق من حيث تغليب الشورى والحكم بالعدل والمساواة وعدم الاستبداد بالرأى فلا أعز على الناس وثقتهم فى الحاكم من احاطته بأهل العلم والخبرة والحنق بتدبير الأمور والوعى بمقتضياتها وتقريبهم ومجالستهم والركون اليهم وتقديمهم على غيرهم واتخاذهم أصحابا (١٣) يشاورهم فى معضلات الأمور وفق مجالها وطبيعتها فيشاور القادة فى أمر الحروب، وأرباب السياسة فى الحكم والإدارة، والمعيار هو كل فى بابيه بحيث لا يعتمد على رأى واحد (١٤).

ويقرر الطرطوشى أن مشورة نوى الرأى والتجربة تعد من الملك وقواعد السلطة ، ويفتقر اليها الرئيس والمرؤوس (١٥). فهى لهم بمثابة الشعاع والذئار. وكذلك لاضفاء بعض مظاهر الاسلام الأولى على الحكم العباسى الجديد مثل اعلان النسب الهاشمى وليس البرية والاعتماد على رجال يعرفون باسم الصحابة كانوا يلزمون الرسول عليه السلام والخلفاء الراشدين من بعده.

ويعد رأى ابن المقفع حول مجلس الصحابة لوسع الآراء المعاصرة التي وصلتنا حوله، ولكن الرسالة التي وسمها بهذا الاسم لم تكن مقصورة عليه وحده فقد تحدث فيها عن موضوعات أخرى كالجند الخرساني والخراج وأهمية الحرمين وإنما سماها برسالة الصحابة (١٦) من باب التغليب وأنا عرفنا أن المؤلف توفي سنة ١٤٢ هـ وأنه يخاطب فيها الخليفة المنصور فإن تاريخ كتابتها يعود إلى السنوات الست الأولى من خلافته وأرجح أنها كتبت في السنوات الثلاث الأولى منها ، وذلك لأن مثل هذه الرسائل تنشأ وتوجه للخلفاء في بداية توليهم الحكم.

ولهذا كان ابن المقفع من أوائل الذين أبدوا رأيهم في أعضاء هذا المجلس ومراعاة عدة صفات فيهم، فقد كتب إلى الخليفة أبي جعفر المنصور قائلاً: ولصحابة أمير المؤمنين - أكرمه الله - مزية وفضل ، وهي مكرمة سنوية ، حرية أن تكون شرقاً لأهلها، وحسباً لأعقابهم ، وحقيقة أن تصان وتحظر ، ولا يكون فيها إلا رجل بدر بخصلة من الخصال ، أو رجل له عند أمير المؤمنين خاصة يقرابة أو بلاء ، أو رجل يكون شرفه ورأيه وعمله أهلاً لمجلس أمير المؤمنين وحديثه ومشورته، أو صاحب نجدة يعرف بها ويستعد لها ، يجمع مع نجده حسبا وعفاناً، فيرفع من الجند إلى الصحابة ، أو رجل فقيه مصلح يوضع بين أظهر الناس لينتفعوا بصلاحه وفقهه ، أو رجل شريف لا يفسد نفسه أو غيرها ، (١٧) .

وحدث أحد الناس المنصور بعد أن جهد نفسه في مقابله على اتخاذ صحابته ومعاونيه في تدبير أمور الدولة من الأئمة الأعلام للرشدين ففيهم صلاح للرعى والرعية (١٨) وقد وصفوا بأنهم كالبنيان المرصوص يشد

بعضه بعضا ، فالخليفة يستعين بهم على أمور الدولة (١٩) وقد مثل لحد
الخلفاء العلاقة بينهم وبين الحاكم بقوله: « انى وأصحابى كأصابع الراحة فى
حاجة بعضها الى بعض وقوة بعضها ببعض » (٢٠) . فهم على مسئولية
خطيرة (فانهم يوم يقتل أحدهم بالبعض قد قتلوا جميعا) والفعل الحسن
والسلوك القويم يحيون به جميعا (٢١).

كما كتب القاضى العنبرى (٢٢) للمهدى بشأنهم يقول: « فان رأى أمير
المؤمنين أن يكون حضرته قوم منتخبون من أهل الأمصار ، أهل صدق وعلم
بالسنة ، أولو حنكة وعقول وورع لما يرد عليه من أمور الناس وأحكامهم ، وما
يرفع اليه من مظالمهم فليفعل » (٢٣).

وقد وجه المأمون أبناءه باتخاذ هؤلاء وأمثالهم أصحابا ومشيرين بقوله:
« ارجعوا فيما اشتبه عليكم الى آراء أهل الحزم من أعوانكم الجريين ،
والمشايع المشفقين فانهم يرونكم ما لا ترون ، ويكشفون لكم أعطية ما لا
تعلمون ، فقد صحبوا لكم الدهور ، وما رسوا لكم الأمور ، وعرفوا حوادث
الأزمنة وأعراضها ، واقبالها ، وادبارها ، فروضوا أنفسكم لهم ، وتجرعوا
مراراتهم ، فقد قيل : من جرعك مرا لتبرا أشفق عليك من جرعك حلوا لتسقم
... واعتبروا فى علو الهمة بمن ترون من وزرائى وخاصتى .. واستكفوا
الثقاة» (٢٤).

ومن مجموع تلك الأقوال نستخلص بعض الصفات المهمة التى ينبغى
أن يتحلى بها هؤلاء مثل العلم والورع والصدق والحنكة ورجاحة العقل
وحسن البلاء والقرب من أمير المؤمنين وعلو النسب والحسب من مختلف
الأمصار والأجناس .

ويمكن أن نستقرئ ذلك بوضوح أيضا من خلال أسماء بعض أعضاء مجلس الصحابة التي وصلتنا ذلك أن بعضهم كانوا قضاة وبعضهم قادة وزراء وكتابا وأشرافا ، وسواء من البيت العباسي أو من خارجه أو من عليّة القوم في أقاليمهم أو بين قبائلهم ، مثل خالد بن صفوان الذي اشتهر بالفصاحة والبلاغة ، وكان من جلساء الخلائف عمر بن عبد العزيز وهشام وأبي العباس (٢٥). والحجاج بن أرتاه وهو من علماء الحديث في القرن الثاني ، وكان من خواص الخليفة المنصور الذين أشركهم في التخطيط لبناء مدينة بغداد والإشراف على تنفيذها (٢٦). وسلم بن قتيبة الباهلي أحد جلساء المنصور وهو واحد من الذين استشارهم في القضاء على أبي مسلم الخراساني قبل أن يتم (٢٧). وجعفر بن حنظلة البهراني وكان من رجال المنصور ، وقد نخل عليه ساعة الانتهاء من مقتل أبي مسلم فكان أول من أيده في ذلك (٢٨). ومعن بن زائدة الشيباني أحد المشهورين بالفروسية والشجاعة والجدود ، أحد قواد الدولة الأموية ، وبعد ذلك جعله المنصور من خواصه (٢٩). ومنهم الوليد بن حصين المشهور بالشرقي بن القطامي كان عالما بالأدب والأنساب استقدمه المنصور وجعله من صحابته ، وضم ابنه للهدى إليه لتعليمه (٣٠). وضم هارون الرشيد عبد الواحد بن بشر النضري إلى صحابته عندما قدم عليه وأقدا على رأس جماعة من أهل الشام فتكلم في قضية دم في مجلس الخليفة بكلام بليغ فأعجب به الخليفة وراهي فضعه إلى صحابته (٣١). وغير هؤلاء كثيرون ممن تناثرت أسماءهم في كتب التراجم والتاريخ والأدب سواء ممن عرفنا أم ممن لم تصلنا أسماءهم فقدخرج صالح بن علي من مصر عند توليته على فلسطين في عهد أبي العباس ومعه عدة من أهلها صحابه لأمير المؤمنين (٣٢). ويذكر معن بن زائدة الشيباني الذي

كان من لشهر أعضاء هذا المجلس أن عددهم في وقته كان سبع مائة اذ يقول :
« كنا في الصحابة سبع مائة رجل فكنا ندخل على المنصور في كل يوم ،
(٣٣) وعندما اتخذ المهدي يعقوب بن داود وزيراً له في سنة ١٦١ هـ ضم اليه
عدداً كبيراً من متفقيه أهل البصرة والكوفة والشام وجعل على كل أهل بلد
رئيساً عليهم (٣٤) .

وكل ذلك يشير بوضوح إلى كثرة أعضاء مجلس الصحابة خلال هذا
العصر ، كما يشير أيضاً إلى ما روعي في اختيارهم من أقاليم مختلفة مثل
خراسان والعراق والشام ومصر . بغية إرضاء أهل أقاليم الدولة كلها ولا سيما
المهم منها ، ولعدم استئثار أهل إقليم بصحة الخلفاء والتأثير عليهم دون
غيرهم . وهو ما ظل مرعياً في هذا العصر إلى حد كبير ، واختل في العصر
التالي فاستبدت بحجب الخلفاء وصحبتهم بعض الشعوب كالترك والديلم
دون غيرها .

وعلى الرغم من أن أكبر رقم نعرفه لعدد أعضاء هذا المجلس هو ما أشار
له أحد أعضائه من قبل وهو سبع مائة فإن دخولهم على الخليفة كل يوم فيه
نظراً ، ولا سيما مثل المنصور الذي وصلنا تفصيل عن برنامجه اليومي يظهر
منه أنه كان مشغولاً بأمور الدولة سحابة نهاره من أمر بالمعروف ونهى عن
المنكر وولاية وعزل والنظر في أخبار الأقاليم العسكرية والادارية والمالية (٣٥) .
ومن ثم لا نجد في هذا البرنامج ما يشير إلى احتمال استقبال مجلس
الصحابة كل يوم إلا أن يكون بعد العشاء الآخرة حيث كان يشاور سماره
فيما يستجد من أمور (٣٦) ، وهذا أيضاً ما يقرره أحد الفقهاء من لزوم
اجتماع الخليفة بخاصته المستعان بهم في التدبير في كل الأيام (٣٧) ويرى
الجاحظ أن أنسب وقت ذلك يكون في صدر كل يوم (٣٨) . أما ابن حزم فقد

حدد وقته ما بين صلاتي العصر والمغرب (٣٩) والراجح أن أكثر الخلفاء في هذا الوقت كانوا يجتمعون ببعضهم وأحيانا بهم كلهم في كل يوم وهذا أقرب للقبول لضيق وقت الخليفة وكثرة العدد وربما ضيق المكان أيضا.

وعلى العموم فإن هذا المجلس لم تكن له صفة الهيئة السياسية المنظمة التي تتخذ مقرا وأوقاتا محددة لاجتماعاتها ومن ثم ابداء الرأي الجماعي في أمور الدولة وتقديمه للخلفاء، وإنما كانوا في الغالب يرجع لهم فرادى أو يبدون رأيهم فيما يعرض بحضورهم في مجالس الخلفاء (٤٠). أما من حيث ترتيبه وجلس أعضائه فقد كان الناس في مجلس الخليفة المنصور يجلسون على قدر أنسابهم ومراتبهم ، وكان لصحابه الخليفة من بينهم مكان قريب نظرا لعلو مرتبتهم وتقدمتهم على كثير من الناس ، وربما كان جلوسهم على عشرة أذرع من الخليفة على نحو ما كان يراعى في مجالس ملوك الفرس (٤١). ولما أراد أحد أعضاء مجلس الصحابة وهو معن بن زائدة أن يكون آخر من يدخل على الخليفة قال له وزيره عند بابه : « لست بأشرفهم فتكون أولهم ولا بأخسهم نسبا فتكون في آخرهم » ، وإن مرتبتك لتشبه نسيك (٤٢).

ولصحبة الخلفاء قواعد وأداب مرعية سواء من جانب الخليفة كما لاقتهم بالسلام والتحية وإظهار المودة، ومخاطبتهم بلين الكلمة، وإنزالهم في مجلسه على أقدارهم ومراتبهم والتجاوز عن هفوات بعضهم (٤٣). أم كانت تلك الآداب من قبل أصحابه لزامه مثل التجميل والوقار في مجلسه والتزويد بالعلم فإنه صفة مهمة في الصاحب والجليل والمشير وغيرهم، ومحض الرأي والنصح له دونما مواربة أو هوى أو مصلحة في غير ما استبداد أو تعصب أو عجب. والوقوف في حدود المعرفة والخبرة حول ما يطلبه الخليفة ، وترك ما لا يعرفه

لو يحيط به للأخريين لافادته فى بايه (٤٤). فضلا عما ظهر منها مثل اعتدال الجلوس وهنوء الجنان، وعدم الضحك أو التثاوب ونحو ذلك (٤٥). وهى قواعد وأداب وان لم تكن مقصورة على مجلس الصحابة فى هذا العهد الا أن الطرفين كانا على علم ومراعاة لها وكتب سياسة الملك وسير الحكام الفارسية واليونانية والعربية تفيض بهذه الآداب، وكانت منتشرة فى ذلك العصر وكان بعض الخلفاء يخصص جزءا من وقته لقراءتها والاطلاع عليها.

ولم يكن أيضا مجلس الصحابة مقصورا على جنس نون غيره فقد كان من بين أعضائه العرب والموالى من فرس و نصارى نحو بعض الوزراء والكتاب والأطباء ولكن أظهر عناصرهم العرب والفرس حيث شكل هؤلاء سواء موظفى الدولة فى هذا العصر ورجالاتها. بل ان التنافس بينهم انعكس أيضا على صحبة الخلفاء من حيث الانفراد والتأثير والحجابه لهم.

ويروى الطبرى أن ابا عبد الله وزير المهدي عندما كان وليا للمعهد لما رأى من غلبة الموالى عليه وخلوتهم به و نظر الى أربعة رجال من قبائلشقى من اهل الأدب والعلم فضمهم الى المهدي فكانوا فى صحابته فلم يكونوا يدعون الموالى يخلون به .. (٤٦).

وفى عهد المهدي حدث تصوير فى اسم مجلس الصحابة الى اسم الخاصة أى خاصة الخليفة وقد تجاوز هذا التحوير - فيما يبدو - الاسم الى وظيفته السياسية والادارية لسببين أولهما أن هذا المجلس لم يعد يشابه الصحابة الأوائل أو حتى يليق أن يحمل اسمهم . وثانيهما أنه غدا تشرىفيا ينعم الخليفة أو يتألف به من يشاء من رجال دولته (٤٧).

وقد يكون هذا الاتجاه هو ما نفع أحد الفقهاء فيما بعد لى القول
بوجوب اتخاذ الخليفة له مجلسين أحدهما عام والآخر خاص للموامة بين
صفة صحابة الخلفاء الأوائل وما طرا على مجالس المتأخرين ويكون الأول من
ذوى المنزلة والجاه والصلاح للفتيا والشورى فى الدولة . والثانى ممن غلب
عليه المرونة وتحمل مجالس الحكام واشتهر ببعده نظره وسعة علمه وأدبه
ورجاحة عقله وكثرة خبرته بأمور الحكم والقدرة على مواجهة الناس (٤٨).

ولا شك أن هذا التحول هو اتجاه نحو ضعفه وتوزعه ومظهريته فى
سدة الدولة واضمحلال دورة فى قرارها السياسى والمظهر الأوضح منه هو
عندما بدأ الوزراء يتخذون لهم خاصة يحيطون أنفسهم بهم اما تقليدا للخليفة
أو لاستمالة عليه القوم بالانخراط فى خاصتهم لانضاج قرارهم أمام الخليفة
ودعم ما يقدمونه له من رأى ومشورة أو ليزوا بهم منافسيهم لا سيما عندما
تمكن هؤلاء الوزراء ومن هؤلاء مثلا البرامكة فى عهد الرشيد حيث كان لهم
مجالسهم الخاصة وصنائعهم وكتابهم دون الخليفة حتى قصدهم الناس دونه
وأصبحت دورهم تغص بهم وارتفعت جلبتهم وانصرفت نحوهم الوجوه (٤٩).
وقد انتقد مجلس الصحابة فى هذا العصر منذ وقت مبكر من حيث شروط
اختيار أعضائه وتدخل الوزراء والحجاب فى ذلك ، وحرص البعض عليه وزهد
الأكفاء فيه .

ولهذا عدت الشفاعة فى اختيار أعضاء مجلس الصحابة عيبا يلحق
بالعصر القادم بواسطتها وخطرا ما حقا يضر بمصالح الدولة يؤدى فيما
يؤدى إلى تأخير الأكفاء وعدم مباشرتهم ومشاركتهم فى أدارتها وملازمتهم
لأولى الأمر فيها ومعانتهم ، ومن ثم يوسد الأمر بهذه الوسيلة لغير أهله .

وكثيرا ما يقوم بها الوزراء والكتاب والحجاب نحو أناس تربطهم بهم علاقة أو مصلحة مشتركة دون بلاء أو رتبة أو سابقة فضل تقدمهم على غيرهم (٥٠).

وأشهر من عاب هذا المجلس وطريقة أعضائه في عهد أبي العباس ابن المتفجع فقد وصف تدخل الوزراء والكتاب والحجاب فيه قبيل مجيء المنصور بأن كان (عملا قبيحا مفرط القبح مفسدا للحسب والأدب والسياسة داعيا للأشرار وطارد للأخيار ، فصارت صحبة الخليفة أمرا سخيفا) (٥١).

وهذا الرأي بليغ ويحمل بين ثناياه نقدا لانعما لمجلس الصحابة عندما يتساهل في أمره ويساد اختيار أعضائه وبدون شك فالنتائج خطيرة من فساد لسياسة الدولة وتكالب الأشرار عليه وابتعاد الأخيار وزهدهم فيه حتى يقرر ابن المتفجع أن أمير المؤمنين أبا العباس دعا أناسا من وجوه أهل البصرة لضمهم لأصحابه (فأبوا أن يأتوا فمنهم من تغيب فلم يقم ومنهم من هرب بعد قدومه اختيار للمعصية على سوء الموضع) (٥٢).

ويرى ابن المتفجع أن شروط اختيار أعضاء مجلس الصحابة قد اختلفت وأصبح من أعضائه من ليس أهلا أن يكون فيه فتقدم فيه أناس وينادي بأسمائهم ليس لهم بلاء أو شرف في الدولة وتأخر آخرون لهم الحق في أن تكون لهم منزلة مقدمة على غيرهم (٥٣). إذ يقول :

« وان أمر هذه الصحابة قد كان فيه أعاجيب دخلت فيها مظالم . اما العجب فقد سمعنا من الناس من يقول : ما رأينا أعجوبة قط أعجب من هذه الصحابة ممن لا ينتهي الى أنب ذى نباهة ، ولا حسب معروف ، ثم هو يسخرط للرأي ، مشهور بالفجور في أهل مصره ، قد غير عامة نهره صناعا يهمل بيده ، ولا يعتد مع ذلك ببلاء ولا غناء ، الا أنه مكنه من الأمر صاغ ،

انتهى (الى) حيث أحب ، فصار يؤذن له على الخلية قبل كثير من أبناء المهاجرين والأنصار ، وقبل قرابة أمير المؤمنين وأهل بيوتات العرب ، ويجرى عليه من الرزق الضعف مما يجرى على كثير من بنى هاشم وغيرهم من سراوات قريش ، ويخرج له من المعونة على نحو ذلك . لم يضعه بهذا الموضع رعاية رحم ، ولا فقه فى دين ، ولا بلاء فى مجاهدة عدو معروفة ماضية شائعة نديمة ، ولا غناء حديث ، ولا حاجة اليه فى شىء من الأشياء ولا عنة يستمد بها ، وليس بفارس ولا خطيب ولا علامة ، (٥٤) . والملاحظ أن ابن المقفع يتحدث بصيغة الماضى أى عن حال هذا المجلس فى عهد أبى العباس وفى ذلك حذق سياسى منه فى توجيه النصح للخليفة أبى جعفر المنصور لكى يصلح من شأن هذا المجلس ويحاول عدم تكرار بعض الأخطاء التى أخذت عليه من قبل . ولكن يبدو شك فقد كان نقده لاذعا ولكن بصورة تتفق ومخاطبة الخلفاء والأدب معهم وهو أمر لم يخف على ابن المقفع .

كما انتقد أحد الناس المنصور بقصر الدخول عليه على نفر سمام الخليفة ووثق فيهم واستخلصهم دون عامة الناس حتى نال من هؤلاء بقوله :
(فاتمروا على الا يصل اليك من علم أخبار الناس الا ما أراؤا) ، (٥٥) .

كما ذكر ابن المقفع الخليفة بالمعاناة والفساد الذى يعانى منه الناس فى أقاليمهم ودعاه الى تعهدهم بمجالس خاصة من أهل الثقة والفضل والصلاح وفى ذلك دعوة الى انشاء مجالس اقليمية خاصة أو فروع لمجلس الصحابة فى الدولة هناك أو دعوة الى عدم مركزية مجلس الصحابة ويعلل وجود فروع لمجلس الصحابة فى الأقاليم أو انشاء مجالس خاصة بها يأمرين هامين أولهما ثنى أهل الفساد والفرقة عن الثورة والزلل وحملهم على الصلاح والألفة

واجتماع الكلمة وثانيهما مراقبة أحوالها ومتابعتها (حتى لا يتحرك متحرك في أمر من أمور العامة الا وعين ناصحة ترمقه) فلا يستطيع أهل الفساد والأهواء التحريض للناس على الفتن والاخلال بالأمن في تلك الأقاليم (٥٦). وهو نظام يؤدي الى ضبط أمور الدولة ، وحضور سلطتها وحسن توزيع رعايتها سواء في مركزها أم في اقاليمها الأخرى (٥٧). وأينما كان مجلس الصحابة سواء في مركز الدولة بالنسبة للخليفة أم في الأقليم بالنسبة للوالي فالعبرة بأهلية هذا المجلس وكفاءة أعضائه والدقة في اختيارهم وجعل سواده من أهل العلم والبصر بأمور الدول وأحوال الناس في كل ناحية أو إقليم أو مجتمع فهم أهل للثقة والمعاونة في ذلك وأجدد بأن يكونوا البيطان وأهل الخاصة (٥٨). وقد شبه وجودهم في مجالس الخلفاء والحكام بمثابة المصابيح في قصورهم التي تزينها وتضيء لهم الطريق ، كما أنعماءهم يزداد بالحرص عليهم وتقريبهم وتعهدهم بالسؤال والمشاورة (٥٩). وتقريبهم لهذه الوظيفة الجلية وعدم شغلهم بالكدح في معاشهم فان خلو مجالس الخلفاء منهم نتيجة لذلك مؤثر على تدهور الدولة وتمكن أهل الأهواء والفساد والهزل فيها (٦٠).

والخلاصة أن أهداف مجلس الصحابة تركزت في عدة أمور أهمها رفع حاجة من لاتصل حاجته أو خبره الى الخليفة من فرد أو فئة أو مدينة أو إقليم (٦١). ومساعدة الخلفاء في اشاعة الحق والعدل والمساواة بين الناس في مناجى حياتهم ورفع الظلم والجور والفقير عنهم حيثما كان وأنى كان نوعه أو علو منزلة فاعله من الولاة والوزراء وغيرهم (٦٢).

ومناقشة هذه الأمور في مجالس الخلفاء يساعدهم في معرفة أحوال الدولة في مختلف أحوالها وأقاليمها فالرعية لا تزال ذات سلطان واحد ما وصل ممثلوها وهم أعضاء هذا المجلس وأمثالهم وأوصلوا أحوالها إلى الحاكم وأعانوه عليها ، فإذا احتجب عنهم وحجبوا عنه ساءت الأوضاع وتعدت السلطين (٦٣). وتوزعت الأهواء وساءت بهم الظنون . ولهذا كنه عاشت الدولة العباسية قوية في عصرها الأول إلى جانب عوامل أخرى أسهمت في ذلك مثل قوة خلفائها وقتذاك ، وهي القوة التي لحسنت الاختيار والتوظيف للأكفاء فكان مجلس الصحابة جملة من ذلك وهو بدوره كان السند لها والدعامة التي اعتمد عليها الخلفاء وأمدتهم بالرأي والمشورة كما يأملون وما ينبغي أن يكونا عليه .

ولما ضعف مجلس الصحابة في الدولة واختلت شروطه وبعد عنه الأكفاء وحادت أهدافه وأغرضت ، كان ذلك من علائم ضعف الدولة وانحسار عصر القوة وتوارى ملامحه إلى جانب عوامل أخرى بالطبع أسهمت في ذلك أيضا ولكن مهما كانت تلك العوامل واضحة إلا أن المعاصرين للأوضاع أدركوا وضوح ضعف المشير وغيابه عن نصيح الخلفاء ومراقبة الوزراء والولاية (٦٤). ومن ثم فقد كان مجلس الصحابة أحد مظاهر الشورى في هذا العصر وصورة واقعة من صور تطبيقاتها وتوظيف أهل الرأي والخبرة ليكونوا معاونين لصاحب القرار وإفادته في الوقت والمجال المناسبين فهو لحد دعائم الحكم التي اعتمد عليها الخلفاء العباسيون الأوائل في إدارة أمور الدولة ، ولا يعنى هذا أنه كان الوسيلة الوحيدة في ذلك أو قصر مفهوم الشورى عليه أو أنه كان يراعى وظيفة أهل الحل والعقد في صدر الإسلام أو كما ينبغي أن يكون عليه ، بقدر ما كان مناطه إبداء الرأي حول عظيم الأمور ، وعدم

الاستبداد فيه ، واستكفاء الثقة والاعتماد عليهم فى تدبير شؤون الدولة
وعمراتها ومعايش أهلها.

(١) عن موضوع الشورى، انظر : الشيزرى، عبد الرحمن بن عبدالله بن
نصر، المنهج المسلوك فى سياسة الملوك .

تحقيق على عبد الله موسى (مكتبة المنار. الزرقاء . الأردن ١٩٨٧م) ص
٤٧٥ - ٤٩٠ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

(٣) ابن الأذق ، أبو عبد الله محمد بن على ، بدائع السلك فى طبائع الملك .

تحقيق على سامى النشار (دار الحرية . بغداد ١٩٧٧م) ج ١ ص ٣٠٣ .

(٤) سورة الشورى آية ٢٨ .

(٥) سورة الجاثية آية ٢٢ .

(٦) ابن هشام، محمد بن عبد الملك ، سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ،

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٣٧م) ج ٢ ص ٢٥٣ .

(٧) ابن الأذق، بدائع السلك فى طبائع الملك ، ج ١ ص ٣١٢ .

(٨) المسعودى ، أبو الحسن بن على بن الحسين ، مروج الذهب ومعان
الجواهر.

(دار الأندلس . بيروت ١٩٦٥م) ج ٢ ص ٢٠ .

(٩) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد، التبر المسبوك فى نصيحة الملوك

(مطبعة الآداب . القاهرة ١٣١٧ هـ) ص ٦٩ .

- (١٠) الطرطوشى أبو بكر محمد بن الوليد ، سراج الملوك (نشر انطون غندورد م. ١٢٨٩هـ) ص ١٣٤ .
- (١١) رسالة القاضى العنبرى للخليفة المهدي عند وكيع ، محمد بن خلف ، اخبار القضاة . (المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٤٧م) ج ٢ ص ١٠٧ .
- (١٢) نفسه .
- (١٣) الطرطوشى ، سراج الملوك ، ص ١٢٣
- (١٤) ابن حزم ، على بن محمد ، كتاب السياسة ، شذرات منه ملحقة بكتاب ابن الأزرق ، بدائع الملك فى طبائع الملك ، ج ٢ ص ٥١٧
- (١٥) الطرطوشى ، سراج الملوك ص ١٣٢ .
- (١٦) ابن المقفع ، عبد الله ، رسالة الصحابة منشورة فى كتاب رسائل البلغاء اختبار وتصنيف محمد كردعلى ط ٤ (لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٤م) من ص ١١٧ حتى ص ١٢٤ وما يخص مجلس الصحابة منها ثلاث صفحات ص ١٢٩ - ١٣١ .
- (١٧) ابن المقفع ، رسالة الصحابة عند محمد كردعلى ، رسائل البلغاء ص ١٣١ .
- (١٨) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، احياء علوم الدين ، (دار المعرفة بيروت . د . ت) ج ٢ ص ٣٥١ - ٣٥٢ .
- (١٩) المرادى ، أبو بكر محمد بن الحسن ، كتاب الاشارة الى ادب الامارة . تحقيق رضوان السيد (دار الطليعة . بيروت ١٩٨١م) ص ١٣٧ .
- (٢٠) نفسه .
- (٢١) نفسه .

من (رجال الدين والدولة) هناك يجولون أقاليم البلاد ويبلغون ولايتها
مراسيم الدولة ويتفقدون نظمها الدينية والأثرية ويطلعون على أحوالها
عن كتب ويرفعونها إلى الملك . الباز العريني ، تاريخ أوربا العصور
الوسطى ، (دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٨ م) ص ٢٨٦ - ٢٨٩ .

(٥٨) ابن المقفع، رسالة الصحابة، عند محمد كرد علي، رسائل البلغاء، ص ١٣٤

(٥٩) ابن الندي، الفلسفة السياسية، ص ٦٨ .

(٦٠) نفسه.

(٦١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٢٠ - ٢٢٣ .

(٦٢) الغزالي، أحياء علوم الدين، ج ٢، ص ٣٥١ - ٣٥٣ .

(٦٣) الطرطوشي، سراج، الملوك، ص ٥٧ .

(٦٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٩٦ . يقول أحمد شعراء بغداد

في عهد الأمين :

لضاع الخلافة غش الوزير ، وفسق الامام وجهل المسير .

- (٤٩) الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وزميليه (البابى الحلىي ، القاهرة ١٩٢٨ م) ص ٣٥٥ .
- ابن خلدون ، عبدالرحمن ، المقدمة ، ط ٤ (دار (٢٣) رسالة القاضي العنبري عند وكيع ، ابن خلدون ، عبدالرحمن ، المقدمة ، ط ٤ (نارلحياء التراث العربي ، بيروت . د . د . ت) ص ص ١٦-١٧ .
- (٥٠) ابن المقفع ، رسالة الصحابة ، عند محمد كرد علي ، رسائل البلغاء . ص ١٢٠ .
- (٥١) ابن المقفع ، رسالة الصحابة ، عند محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ، ص ١٢٩ .
- (٥٢) ابن المقفع ، رسالة الصحابة ، عند محمد كرد علي ، رسائل البلغاء . ص ١٢٩ .
- (٥٣) ابن المقفع ، رسالة الصحابة ، عند محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ، ص ١٢٩ .
- (٥٤) ابن المقفع ، رسالة الصحابة ، عند محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ، ص ١٣٢ .
- (٥٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ص ٢٥١ .
- (٥٦) ابن المقفع ، رسالة الصحابة ، عند محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ، ص ١٣٠ .
- (٥٧) وهي دعوة الى عدم مركزية الادارة في الحكم التي تطبق في بعض الدول بصورة من الصور في العصر الحديث ، وقد كان قريبا من هذا النظام ما كان يعرف في دولة الفرنجة في غرب أوروبا في عهد شارلمان المعاصر لهارون الرشيد باسم نظام المبعوثين ويتلخص في ارسال ثقة

(٢٢) القاضى العنبرى، هو عبيد الله بن الحسن بن الحسين من أهل البصرة، وتولى القضاء فيها ما بين سنتى ١٥٧ و ١٦٦ هـ، اشتهر بعلمه وتبريزه فى الحديث، توفى سنة ١٦٨ هـ. الزركلى، خيرالدين الأعلام، (د. ت. م) ط ٢ ج ٥ ص ٢٤٦.

(٢٣) رسالة القاضى العنبرى عند وكيع، أخبار القضاة ص ١٠٧.

(٢٤) الشيزرى، المنهج السلوك فى سياسة الملوك ص ص ٤٨٨ - ٤٨٩.

(٢٥) ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان. تحقيق أحسان عباس (دار الثقافة. بيروت ١٩٦٨ م) ج ٦ ص ١٨٢.

(٢٦) الخطيب البغدادى، الحافظ أحمد بن على، تاريخ بغداد (دار الكتاب العربى. بيروت. دت) ج ٨ ص ٢٣٠.

(٢٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣ ص ١٥٢.

(٢٨) المصدر السابق، ج ٣ ص ١٥٤.

(٢٩) المصدر السابق، ج ٣ ص ٢٤٧.

(٣٠) الخطيب البغدادى تاريخ بغداد، ج ٩ ص ٢٧٨.

(٣١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٨ ص ٧٩٧.

(٣٢) المقرئى تقى الدين أبو العباس أحمد بن على بكتاب المواعظ والا اعتبار بذكر الخطط والآثار (دار صادر. بيروت. دت) ج ١ ص ٢٠٤.

(٣٣) الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعارف. القاهرة ١٩٧٩ م) ج ٨ ص ٦٤.

(٣٤) الطبرى، ج ٨ ص ١٢٦.

(٣٥) الطبري . ج ٨ ص ٧٠ .

(٣٦) نفسة .

(٣٧) ابن رضوان ، أبو القاسم المالكي ، الشهب اللامعة في السياسة النافعة ، تحقيق سامي على النشار (دار الثقافة . الدار البيضاء ١٩٨٤ م) ص ٥٩ . ابن الأزرق : بدائع السلك في طبائع الملك ، ج ١ ص ٣٦٢ .

(٣٨) الجاحظ ، عمر بن بحر ، كتاب التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق أحمد زكي باشا (المطبعة الأميرية . القاهرة ١٩١٤ م) ص ١٥١ .

(٣٩) ابن رضوان الشهب اللامعة ، ص ٥٩ .

(٤٠) شاکر مصطفى ، دولة بني العباس ، (وكالة المطبوعات . الكويت ١٩٧٣ م) ج ١ ص ٥٢٦ .

(٤١) الجاحظ، كتاب التاج ، ص ٢٤ .

(٤٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج ٨ ص ٦٤ .

(٤٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٠ ، المرادي، كتاب الاشارة الى ادب الامارة ، ص ٩٩ ، ٢٠١ .

(٤٤) ابن الأزرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، ج ١ ص ٣١٠ - ٣١٣ .

(٤٥) الشيزري ، المنهج السلوك في سياسة الملوك ، ص ٥٧٥ - ٥٧٦ .

(٤٦) الطبري ، ج ٨ ص ١٣٧ .

(٤٧) شاکر مصطفى ، دولة بني العباس ، ج ١ ص ٥٢٦ .

(٤٨) ابن النداية ، أحمد بن النداية ، الفلسفة السياسية عند العرب . تحقيق عمر المالكي (الشركة الوطنية . الجزائر ١٩٧١ م) ص ٦٨ .